

التبيان في تفسير القرآن

(398) وقرأ أهل الكوفة إلا عاصما ونافع (سخرى) بضم السين. الباقون بكسرها. حكى
□ تعالى عن هؤلاء الكفار أنهم يعترفون على نفوسهم بالخطأ، ويقولون (ربنا غلبت علينا
شقوتنا) والشقوة المصرة اللاحقة في العاقبة. والسعادة المنفعة اللاحقة في العاقبة، وقد
يقال لمن حصل في الدنيا على مضرة فادحة: شقي، من حيث أنه يؤدي إلى أمر شديدة، فالمعاصي
شقوة، تؤدي إلى العقاب الدائم. ويجوز أن يكون المراد بالشقوة العذاب الذي يفعل □ بهم
ويغلب عليهم. وقوله " وكنا قوما ضالين " اعتراف منهم على نفوسهم أنهم ضلوا عن الحق في
الدنيا وزمان التكليف، ويسألون □ تعالى فيقولون " ربنا أخرجنا منها " أي من هذه النار
" فان عدنا فانا ظالمون " ولايجوز أن يكونوا لو أخرجوا إلى دار التكليف لما عادوا، لان
الشهوة العاجلة والاعتذار بالامهال يعود اليهم فلا يكونون ملجئين. وقد قال □ تعالى " ولو
ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون " (1). وقال الحسن: هو آخر كلام يتكلمون به أهل
النار، فيقول □ تعالى لهم في جوابهم " اخسئوا فيها " يعني في النار " ولا تكلمون " أي
ابعدوا، بعد الكلب. وإذا قيل للكلب اخسأ، فهو زجر بمعنى ابعد بعد غيرك من الكلاب، وإذا
خوطب به انسان، فهو إهانة له، ولا يكون ذلك إلا عقوبة، وخسأت فلانا أخسأه خسأ، فهو خاسئ
إذا أبعدته بمكرهه، ومنه قوله " كونوا قردة خاسئين " (2) وقوله " ولا تكلمون " قيل في
معناه قولان: احدهما - ان ذلك على وجه الغضب اللازم لهم، فذكر ذلك ليدل على هذا المعنى،
لان من لا يكلم اهانة له وغضبا، فقد بلغ به الغاية في الازلال. والثاني - ولا تكلمون في رفع
العذاب عنكم، فاني لا أرفعه عنكم، ولا افتره _____ (1) سورة 6 الانعام
آية 28 " 2 " سورة 2 البقرة آية 65 (*)